الرِّسَـــالة ٢٣

المَحبّـــة الفَـــاتِرَة.. وعِلاجُـــهَا

(Arabic - Lukewarm love)

أحبّائِى.. مَوْضُوعُ حَديثنَا اليَوْمَ عَنْ: **المَحبّـــة الفَـــاتِرَة.. وعِلاجُـــهَا**

ومِنْ سِفر رُؤيَا يُوحنّا اللاهُوتِى الأصْحَاح الثالِث نقرأ العَدَدَيْن الخَامِس عَشَرَ والسّادِس عَشَرَ:

"أنا عَارفٌ أعْمَالكَ أنّكَ لسْتَ بَارداً ولا حَارّاً.. ليتكَ كنْتَ بَارداً أوْ حَارّاً.. هكذا لأنّكَ فاتِرٌ ولسْتَ بَارداً ولا حَارّاً أنَا مُزْمِعٌ أنْ أتقيّأكَ مِنْ فمِى".[١]

تبادل المحبّة مِنْ أهمّ العوامل التى تعطى الإنسان إحساساً بالسلام والراحةِ والطمأنينةِ.. وتلك المحبة يلزمُها قدمان تستخدمهما لتقفَ باتزان أو لتتحركَ فى أمان.. القدمُ الأول هو القدْرُ الذى يُعطيهِ المَرْءُ مِنْ مَحبتهِ لِمَنْ يُحيطونَ بهِ.. والثانِى هو القدْرُ الذِى يُعطيهِ الآخَرُونَ لهُ.. وبدُونِهمَا تتعثرُ المَحبّة وتحتاجُ إلى أقدام صناعيّة. وحديثنا اليوم عن المحبّة المسيحيّة.. وتتميّزُ بأنها موجهة للجميع.. فالمؤمنُ المَسيحِىُّ مطالبٌ بأن لا يحمل فى قلبه كراهية أو ضغينة لإنسان ما.. محبّة المؤمن تشملُ مَنْ أظهَرَ حبّاً له ومَنْ أظهَرَ له العَداوَة.

لقد أوصى الرّبُّ يَسُوعُ قائلا: "سمعتم أنه قيل: تحبّ قريبك وتبغض عدوّك.. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم.. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.. لكى تكونوا أبناءَ أبيكم الذى فى السموات.. فإنه يشرقُ شمسَه على الأشرار والصالحين ويمطرُ على الأبرار والظالمين.. لأنه إن أحببتم الذين يُحبونكم فأى أجر لكم؟. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك؟!. وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون.. أليس العشارون أيضا يفعلون هكذا؟!. فكونوا أنتم كاملين كما أنّ أباكم الذى فى السموات هو كامل".[٢]

إنّ المحبّة شأنها شأن سائر عواطفنا ونزعاتنا البشريّة.. تبدو قوية أحيانا ويعتريها الضعف أحيانا أخرى وقد يدركها الفتور بعض الأحيان.. تخيل أخى أنّك تعيشُ مع قرين لك وهو يبدى لك محبة فاترة.. بلا شك ستكون فى حيرة من أمره لأنّ مذاق المحبة الفاترة غير مقبول.. قد نسميها محبة ولكن من العسير التصديق بأنها محبة لأن المحبة الفاترة تبدو فى جسم هزيل لا يقوى على السير إلى الأمام ولا على الوقوف فى ذات المكان.. سينتابك إحساسٌ بعدم وجود الدافع القوى الذى يشجعك على أنْ تبقى مع ذلك القرين فى ذلك الحال المؤسف.. لأنه يتعذر عليك أن تخطو معه نحو الهدف الذى اتفقتما على السعى معاً للوصول إليه.

وبالعودة إلى النص الذى جاء بسفر الرؤيا الأصحاح الثالث وافتتحنا به حديثنا وفيه يوجه الربّ كلامَه إلى الراعى المسئول عن كنيسة اللاودكيِّين بقوله: " أنا عَارفٌ أعْمَالكَ أنّكَ لسْتَ بَارداً ولا حَارّاً.. ليتكَ كنْتَ بَارداً أوْ حَارّاً.. هكذا لأنّكَ فاتِرٌ ولسْتَ بَارداً ولا حَارّاً أنَا مُزْمِعٌ أنْ أتقيّأكَ مِنْ فمِى".. بالتأمل فيما يعنيه الربّ من كشف الحقيقة المرة التى يصل إليها المؤمن أحياناً إذ يتعامل مع إلهه بأسلوب بغيض.. إذ كيف نبادل محبة الله التى لا يعبر عنها بغير ما يتوقعه منا؟!. لذلك يعلن الله عدم رضاه عليه بقوله: "أنَا مُزْمِعٌ أنْ أتقيّأكَ مِنْ فمِى".

إن الله محبّة.. كما جاء برسالة يوحنا الرسول الأولى الأصحاح الرابع العدد السادس عشر.. ومحبّته لا يعبر عن عظمتها لأنّ بقدر كمال الله غير المحدود كمالُ محبّته لنا هو بلا حدود. قد يتغاضى الإنسانُ عن هذه المحبّة وقد يقابلها بالجمود.. ربما يبدو قلب الإنسان متحجرا وكأن أذنيه أصابها صمم لا تسمع نداءات المحبّة العجيبة.. وقد ينكرُها الإنسان تماماً.. ولكن محبة الله له تبقى كما هى غير محدودة ولا تتغير.. "لأن الله هو هو أمساً واليومَ وإلى الأبد. إن الله فى محبته يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون".[٣]

---

[١] سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٣: ١٥ – ١٦ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل متى ٥: ٤٣ – ٤٨ ، رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى أفسس ٥: ١١

[٣] رسالة يوحنا الرسول الأولى ٤: ١٦ ، الرسالة إلى العبرانيّين ١٣: ٨ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٢: ٤

قد نتساءل: إذا كان الله يحبنا بهذا المقدار فلماذا لا نرى كثيرين محرومين منها؟!. وللإجابة عن هذا السؤال نعطى مثلا: هناك مَنْ يموتون بالاختناق مع توفر الهواء فى كلّ مكان.. السبب أنّهم بعيدون عن مصادره.. لقد عَزلوا أنفسهم خطأ أو عَزلهم آخرون عَنْ مصادرها.. وكذلك الحال مع كثيرين يعيشون محرومين مِنَ التمتع بمحبّة الله مع شمولها لأنهم عاشوا أو يعيشون حياة بعيدة عن الله.. يسلكون طرقا ليست طرق الله.. خدعهم إبليس بشهوات الجسد وإغراءات العالم الفاسد وقيدهم بها فاستمرأوا الخطية.. ورفضوا دعوة محبّة الله لهم.. إنهم مُعرضون للموت فى خطاياهم والاختناق بذنوبهم ومصيرهم الهلاك الأبدى.[1]

لقد جاء بإنجيل مرقس الأصحاح الثانى عشر قول السيد المسيح: "إنّ أول كلّ الوصايا هى: اسمع يا اسرائيل. الربّ إلهنا ربّ واحد. وتحبّ الربّ إلهك مِنْ كل قلبك ومِنْ كلّ نفسك ومِنْ كلّ فكرك ومِنْ كل قدرتك. هذه هى الوصيّة الأولى. وثانية مثلها هى تحبّ قريبك كنفسك. ليس وصية أخرى أعظم مِنْ هاتين".. لا مجال للتقدم روحيا فى حياتنا المسيحية لِمَنْ كانت محبته فاترة نحو الله أو نحو إخوته.. فمحبة الله مِنْ نحونا قوية حارّة.[2]

ولكى نكون مسيحيّين بالحقّ. لا بد أن نرتفع إلى مستوى المحبّة الحارّة.. فالقلوب المفعمة بالمحبّة الحارّة نحو الله المحب ونحو جميع الناس.. هى التى تستطيع أنْ تدرك وتستوعب محبة الله فى عَظمتِها.. المحبّة الحارة وحدها هى القادرة على التفاعل مع المحبّة الحارّة التى فى قلب الآب السماوى.. المحبّة الحارّة نحو الله والناس قادرة على الصمود أمام سهام العدو الملتهبة.. لأنّ المحبّة الحارّة تستمدُ طاقتها مِنْ قلب الآب السماوى المُحِبّ.

المحبّة الحارّة احتملت الجلدات على الجسد العارى والبصق على الوجه ووخزات الشوك فى الجبين ودقات المسامير فى اليدين والقدمين وتحملت الطعنة فى الجنب.. وهى التى صرخت إلى الآب السماوى: "يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون".. المحبّة الحارّة أيضاً تمثلت فى قلب اسطفانوس لأعدائه وهم يرجمونه بالحجارة بينما هو يشهد لهم أنّه رأى مجدَ الله ويسوع قائما عن يمين الله من خلال رؤيتة السموات التى نظرها مفتوحة.. وقبل أنْ يلفظ أنفاسَه الأخيرة جثا على ركبتيه وصرخ بصوت عظيم: "يا ربّ لا تقم لهم هذه الخطية".[3]

ولكن ماذا يجعل المحبّة تفتر فى قلوبنا؟. وهل من علاج للمحبة الفاترة؟. إن أخطر ما يجعل المحبّة تفتر فى القلب أولا: الإله الآخر في حياة المؤمن الفاتر.. نقرأ فى الموعظة على الجبل هذه الكلمات: "لا يقدر أحد أنْ يخدم سيّدين لأنّه إما أن يبغض الواحد ويحبّ الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" ثانيا: خطيّة لمْ يتب المؤمن الفاتر عنها.. يسجلُ الوحى بسفر الرؤيا الأصحاح الثانى هذه الأقوال: "فاذكر من أينَ سقطتَ وتبْ.. واعمل الأعمال الأولى.. وإلا فإنى آتيك عن قريب.. وأزحزح منارَتك مِنْ مكانها إنْ لمْ تتب".[4]

وللإجابة عن السؤال الثانى: هل يوجدُ علاجٌ للمحبّة الفاترة؟. نقول: نَعَمْ. فليس مِنَ الحكمة أنْ نقضىَ العمرَ لنكسبَ مالاً ونخسرَ حياتنا الأبدية. واجبنا تكريس حياتنا لِمَنْ وهبنا الحياة لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد. وإذا كان هناك خطية محبوبة تحتل القلب وتفقدنا سلامَ الله لنعترف بها.. كقول يوحنا الرسول فى رسالته الأولى: "إنْ قلنا إنّه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحقّ فينا. إنْ اعترفنا بخطايانا فهو أمينٌ وعادلٌ حتى يغفرَ لنا خطايانا ويطهرنا مِنْ كلّ اثم". إنْ اعترفنا بخطايانا سنحصل على الغفران وسيعود سلامُ الله إلى القلب. وستنقشع سُحُبُ المحبّة الفاترة. وتسطع شمسُ المحبّة الملتهبة فى حياتنا وتعلو هتافات النصرة وأغانى التحرير فى أرجاء بيوتنا.[5]

أدعوك أخى كى تشتركَ معى فى الصلاة: أبانا السماوى.. سامحنى واغفر لى فتور محبتى.. أعنى إلهى حتى أعود إلى محبتى الأولى.. جدّدْ قلبى الفاتر وانزغْ مِنْه كلّ محبّة غريبة .. أرفعُ صلاتى فى اسم ربى يسوع الذى أحبنى إلى المنتهى.. مستنداً على وعدِك الصادق يا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجد ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] سفر الأمثال ٩: ١٢ ، سفر أيُّوب ٢١: ١٤
[1] إنجيل مرقس ١٢: ٢٩ – ٣١
[2] إنجيل لوقا ٢٣: ٣٤ ، سفر أعمال الرسل ٧: ٥٥ – ٦٠
[3] إنجيل متى ٦: ٢٤ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٢: ٤ – ٥
[4] رسالة يوحنا الرسول الأولى ١: ٩